بسم الله الرحمن الرحيم

بيْن إمبرَاطوريَّتيْن:
العَرب والرومَان والسَّاسانيُّون
في أواخِر العصُورِ القديمَة

تأليف

Greg Fisher

ترجمة

أ. د/ عبْدالله بن عبدالرحمن العبْدالجبَّار
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الملك سعود

أ. د/ السيّد مُحَمَّد جَـاد
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة طنطا

دار جـــامـــعـــة
الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٤١هـ (٢٠١٩م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فيشر، جريج.

بين إمبراطوريتيْن: العرَب والرومَان والسَّاسانيُّون في أواخِر العصُور القديمَة . / جريج فيشر؛ عبدالله عبدالرحمن العبدالجبار؛ السيد جاد - الرياض، ١٤٤١هـ.

٢٨٩ ص؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٦ - ٧٩٩ - ٥٠٧ - ٦٠٣ — ٩٧٨

١- العرب —تاريخ قديم ٢ — الرومان تاريخ أ. العبدالجبار ، عبدالله عبدالرحمن (مترجم) ب. جاد ، السيد (مترجم) ج. العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٤١/١٤٠٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٤٠٦

ردمك: ٦ - ٧٩٩ - ٥٠٧ - ٦٠٣ — ٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

Between Empires: Arabs, Romans and Sasanians in Late Antiquity
By: Greg Fisher
© Greg Fisher, 2011
وقد وافق المجلس العلمي على نشرها في اجتماعه الخامس عشر للعام ١٤٣٩/ ١٤٤٠هـ المعقود بتاريخ ٤/ ٧/ ١٤٤٠هـ الموافق ١١/ ٣/ ٢٠١٩م

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

المُحْتَوياتُ

مقدِّمةُ الترجَمة ..... ز
تقديمُ المؤلِّف للترجَمة ..... س
تمهِيد ..... ف
شكرٌ وتقدِير ..... ث
قائمةُ الاختصَارات ..... غ
ملاحظَة ..... أأ
الخرائِط ..... ج ج

الفصل الأول: مقدِّمَة

العَرب والعُصُور القديمَة ١
آل جَفْنَة أم الغسَاسِنة: الصَّفوة العربيَّة ٣
المبرر العقلاني والخلفيَّة ٨
المصَادِر ومنهَج البحْث ١٦
الجغرافيَا ٣٠
رومَا والسَّاسَانيُّون ٣٤

الفصل الثاني: مظاهِر النصْرَانيَّة عندَ العَرب في أواخِر العصُور القديمَة

مقدِّمَة ٣٩
الجزءُ الأول: العمليات والنتائجُ والنصُوص الضمنيَّة للتنَّصير ٤٠

الجزءُ الثاني: آل جَفْنَة وآل نَصْر بين الرومَان والسَّاسانيِّين ٥٦
خاتِمَة ٨٠

الفصل الثالث: الإمبراطُوريَّات والأتبَاع والسياسَات

مقدِّمَة ٨٣
العَربُ والإمبراطوريتان ٨٤
العرَبُ والغربُ والشرقُ ٩٢
آل حُجَر وآل نَصْر في بلاد العرب وبلاد الرافديْن ٩٦
آل نَصْر ولخْم وتَنُوخ ١٠٤
آل جفنة والغساسنة ١٠٨
دمشق وحَوْرَان ١١٣
المستوطنَات وعملية الاستيطان ١٢٤
الأتباعُ والحلفَاء ١٣٣
خاتِمَة: بين الدولة والقبيلَة ١٤٢

الفصل الرابع: اللغةُ العربيَّة والثقافَة والهويَّة العِرْقيَّة

مقدِّمَة ١٤٧
اللغَة والعضويَّة الجماعيَّة والهويَّة: المشكلة..... ١٤٨
اللغَة العربيَّة القديمة والهويَّة العِرْقيَّة ١٥٥
المملكة النبطيَّة والنِّمارة..... ١٥٩
القرنُ السادسُ الميلاديُّ..... ١٦٥
التراثُ الشفهيُّ ١٧٦
هويَّاتُ البدْو والمسْألة الإسْماعيلية..... ١٨٥
خاتِمَة ١٩٥

الفصل الخامس: بين إمبراطوريتيْن: آل جَفْنَة وآل نَصْـر وأواخر العصور القديمة

مقدِّمَة ١٩٧
روما وآل جَفْنَة بعد عام ٥٨٢م ١٩٨
آل نَصْر قرب نهاية القرن السادس الميلاديِّ ٢١٠
الاقتصاد وطاعون جَسْتِينْيانُوس ٢١٢
خاتِمَة ٢٢٠

الفصل السادس: آل جَفْنَة والتاريخ في الشرق والغرب

مقدِّمَة ٢٢١
آل جَفْنَة والتاريخُ في الشرْق والغَرب ٢٢١
أواخرُ العصُور القديمَةِ وما بعدها ٢٢٧
خاتِمَة ٢٤٠
المصادر والمراجِع ٢٤٣
الاختصَارات ٢٤٣
المصَادِر الأساسيَّة ٢٤٤
المراجِع الثانَويَّة ٢٤٦
ثَبْت المصْطلحات ٢٦٧
أولاً: عربي- إنجليزي ٢٦٧
ثانيًا: إنجليزي- عربي ٢٧٧
كشَّاف الموضُوعَات ٢٨٧

مقدِّمةُ التَرْجمَة

يسرنا أن نقدم إلى قارئنا العربيّ عمومًا، وإلى المهتمين بتاريخ العرب قبل الإسلام خصوصًا، هذا الكتاب المهمّ عن تاريخ الجزيرة العربية في أواخر العصور القديمة. وكما يتبين للقارئ عبر صفحاتِ الكتاب، فإنَّ أهميتَه لا ترجع فقط إلى كونه يركز على مرحلةٍ مهمة من تاريخ المنطقة ككل؛ إنَّه يعيد طرح العديد من المشكلات والموضوعات ويناقش مجدَّدًا ما كان يبدو في وقتٍ من الأوقاتِ نوعًا من المسلمات التاريخيَّة، في ضوء بعض الأدلة الأثرية المكتشفة في شمال الجزيرة العربية وبمنهجٍ يغلب عليه طابع التدقيق والتحليل والمقارنة. ومن ناحية أخرى، فإنَّ مرحلة أواخر العصور القديمة، التي يتعارف باحثونا العرب على تسميتها- ببعض التبسيط- العصر الجاهليّ، هي المرحلة التي خرجت من رَحِمِها بعد ذلك الفتوحات العربية بعد مجيء الإسلام، لتبدأ مرحلةٌ جديدة ليس فقط في تاريخ العرب والجزيرة العربية والشرق الأدنى، بل أيضًا في تاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا. وهكذا فإنَّ الكتاب يعالجُ مرحلة تاريخيَّةً تستلفت دائمًا انتباه الباحثين الغربيِّين الذين يحاولون البحث فيها عن مكونات الهويَّة العربيَّة وتحديد مقومَاتها الدينيَّة والثقافيَّة التي تشكلت بعد ذلك وتجسَّدت أمام العالم الخارجيّ في العقيدة والدعوة الإسلاميَّة في القرن السابع الميلاديّ. ويزيد من صعوبَة هذه المحاولة، كما هو معروف، أنَّ الجزيرة العربيَّة لا تقدم لنا أية مصادر أدبية أو كتاباتٍ تاريخيَّة مدونة قبل هذا التاريخ تلقي الضوء على أحداث المرحلة وتُعرِّف بطبيعتها الانتقاليَّة.

ويعتمد الكتاب على فكرةٍ أساسيَّة تتلخص في محاولة مؤلِّفِه أن يفصل ما بين الأسَر الحاكمة قبل الإسلام في شمال ووسط الجزيرة العربيَّة، آل جَفْنَة وآل نَصْر وآل حُجَر، وبين التحالفات العربيَّة التي كانت تحكمها هذه الأسر، والتي تعارف الباحثون من قبل على تسميتها بالغساسنة واللخميِّين ومملكة كنْدَة، على الترتيب (ص٣-٤). كذلك فإنَّه يركز على أثر علاقات هذه الأسر وتعاملاتها مع

القوى الإمبراطوريَّة الرومانية/ البيزنطيَّة والسَّاسانيَّة المجاورة لها على تطور الجماعات العربيَّة، المقيمَة على حدود هاتيْن الإمبراطوريتيْن، ويستعين في دراسته هنا ببعض المؤلفَّات الحديثة عن المناطق الحدوديَّة والجماعاتِ المقيمةِ فيها. ويحاول في أثناء ذلك إلقاء الضوء على التطور الدينيِّ والسياسيِّ والثقافيِّ لهذه الجماعات والربط بين معدل هذا التطور ومدى ارتباطها بتلك القوى (ص١٢-١٣). وتتمثل إحدى الأطروحات الأساسية التي يقدمها المؤلفُ هنا في أنَّ تطور الهوية الثقافية العربيَّة، كما تتضح في 'الشعر العربيِّ الجاهليّ' وفي 'أيام العرب،' كان نتاجًا للاحتكاك القوي والمتزايد بين الجماعات العربيَّة في شمال الجزيرة وبين الرُّومان/ البيزنطيِّين والسَّاسانيِّين.

وهكذا فإنَّنا أمام دراسة تثير عددًا من التساؤلات بقدر ما تحاول في الوقت نفسه تقديم بعض التفسيرات والنظريات الجديدة ومراجعة بعض الأفكار القديمة؛ وتثبت لنا في الوقت نفسه أهمية متابعة جهود الباحثين الغربيِّين ونظرياتهم تجاه هذه المرحلة المهمةِ من تاريخ العرب القديم. وفي الحقيقة فإنَّ جريج فِيشَر يبدأ بكتابه هذا عددًا من الدراساتِ المهمَّة عن العرب في أواخر العصور القديمة، ويضع لنفسِه أساسًا قويًّا بوصفه باحثًا متخصصًا في هذه المرحلة على وجه التحديد، التي كانَت ميدانًا يكاد يكون حكرًا على عرفان شهيد لعدة عقود قبل وفاة الأخير عام ٢٠١٦م. فلم تمر عدة سنوات على صدور 'بيْن إمبراطوريتيْن' الذي يعتمد في الأصل على رسالة للدكتوراه تحت إشراف الباحثة أفريل كاميرون (Avril Cameron)، إلا وأتبعه فِيشَر بكتابٍ آخر أكبر منه ويحمل عنوانًا آخر قريبًا من عنوان كتابه هذا، ولكنه يختلف عنه من حيث إنَّه أشرف على تحريره، وحرص على أن يضم الكتاب الجديد إضافةً إلى إسهامه الشخصي فيه، عددًا من المقالات لكبار الباحثين المهتمين بتاريخ العرب القديم، من أمثال مايكل ماكْدُونالد (Michael Macdonald) وكريستيان روبِن (Christian Robin). ويحمل هذا الكتاب، عنوان 'العرب والإمبراطوريات قبل الإسلام،' وصدر عن دار نشر جامعة أوكسفورد عام ٢٠١٥م.(١) ويستلفت الانتباه فيه خصوصًا الفصل المهم عن المصادر العربيَّة والفارسيَّة عن بلاد العرب قبل الإسلام التي شارك في إعدادها أيضًا الباحث المعروف روبيرت هويلاند (Robert Hoyland).(٢) وفي العام التالي اشترك فِيشَر مع فيليب وود (Philip Wood) في كتابة مقالةٍ كبيرةٍ نوعًا ما عن العرب

(١) Greg Fisher (ed.), *Arabs and Empires before Islam*, (Oxford University Press, 2015).

(٢) Fisher (ed.), *Arabs and Empires before Islam*, 434-504.

التابعين للفرس في مرحلة قبل الإسلام، من منظور ما ورد في الكتابات القديمة عن آل نَصْر في الحيرَة.[٣] وإضافةً إلى عددٍ من المقالات التي كتبها المؤلفُ منفردًا، يمكننا الإشارة أيضًا إلى كتابه الصادر مؤخرًا في العام الماضي عن تاريخ العلاقات بين روما والفرس والعرب من عصر بومْبِيُوس الكبير (Pompey the Great) إلى ظهور الإسلام.[٤]

إنَّ هذه القائمة الطويلة من المؤلفات الصادرة عن دور نشرٍ كبيرة ومتخصصةٍ تعكس- من زاوية- أهمية مُؤَلَّفِ كتابِنا هذا، التي تتضح أيضًا من زوايا أخرى عديدة ليس أقلها إشارات الباحثين المتخصصين إلى هذه الأعمال. وفي الوقت نفسه فإنَّها تحتِّمُ علينا أن نضع هذا الكتاب في إطار أكبر يأخذ في اعتباره الدائرة الواسعة لهذه المؤلفات التي تدور جميعها حول العرب وروما والفرس في أواخر العصور القديمة. ومع ذلك فإنَّ مجرد محاولة هذا الأمر تتخطي حدود التقديم لترجمة الكتاب الذي بين أيدينا، كما لا يخفي على القارئ، وعلينا أن نكتفي بتوجيه الانتباه إلى الأماكن التي يستطيع أن يتعرف فيها على مزيدٍ من أفكار المؤلف ونظرياته وكيفية معالجته لها، وأن يدرس أيضًا الكيفية التي تطورت بها هذه الأفكار والنظريات مع مرور الوقت؛ وفيما يتعلق بهذا الكتاب تحديدًا، أن نعرض بإيجازٍ لمنهجه ولبعض الموضوعاتِ المهمة الواردة فيه.

وكما سبقت الإشارة فإنَّ فِيشَر يقترح هنا أن يركز على 'الأسر' الحاكمة، مثل آل جَفْنَة وآل نَصْر، في دراسة تاريخ المنطقة على أساس أنَّ التعامل مع القوى الإمبراطوريَّة كان من خلال الأشخاص الذين يشكلون الصَّفوة الحاكمة، وليس من خلال مؤسَّساتٍ أو ممالِك، وعلى أساس أنَّه لا توجد لدينا معلوماتٌ عن طبيعة التحالفات التي حكمتها هذه الأسر. وبينما تعتمدُ هذه الفكرة جزئيًّا على صمت المصادر كما يدرك هو نفسه (ص٨٣)، فإنَّه يبدو محقًّا من حيث إنَّ الصفوةَ الحاكمَة كانت دائمًا هي محلّ التركيز؛ ولكنَّ التحالفات وجدَت لتبقى، ولولاها لما كان لهذِه الصفوة دورها المؤثِّر، ويتبقى أن نرى ما إذا كانَت هذه التسميَّات ستؤدِّي نفس دور مسميَّات التحالفات القديمة- الغساسنة واللخميِّين، على سبيل المثال. الأمر الآخر المهمُّ الذي يدعَم فكرتَه هو أنَّ هذه الأسر كانَت

(٣) Greg Fisher and Philip Wood, "Writing the History of the 'the Persian Arabs': The Pre-Islamic Perspective on the 'Naṣrids' of Al-Ḥīra," *Iranian Studies*, 49 (2016), 247-290.

(٤) Greg Fisher, *Rome, Persia and the Arabs: A Narrative History from Pompey the Great to the Coming of Islam*, (London, 2017).

'تابعةً' للرُّومان وللسَّاسَانيِّين، وأنَّ تطورها، إن لم يكن وجودُها ذاته، كان يعتمدُ في الأساس على الدعم الذي تتلقاه من القوي الإمبراطوريَّة أكثر من اعتمادِه على نظامٍ مؤسَّسيٍّ أو 'دولة.' وتأتي في هذا السياق المعاهدة التي وقعها الرُّومان والسَّاسانيُّون عام ٥٦١/ ٥٦٢م، والتي حدَّت من قدرة أتباعها على التصرف باستقلالية. كذلك فإنَّ نهاية أية أسرةٍ أو حاكم كانت تطلُّ برأسها، بمجرد انقطاع هذا الدعم أو تعارض المصالح بينهم وبين القائمين على الإمبراطوريَّة- وليس من قبيل المصادفة هنا أنَّ القضاء على آل نَصْر بواسطة السَّاسانيِّين لم يستغرق وقتًا طويلاً بعد تخلص الرُّومَان من آخر حكامِ آل جَفْنَة.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ آل جَفْنَة وآل نَصْر كانوا يقيمون على حدود إمبراطوريتيْن، وفي منطقةٍ وسيطةٍ (in-between)، وينطبق عليهما ما ينطبق على المقيمين في المناطق الحدودية عمومًا من حيث إنَّهم لم يكونوا داخل الإمبراطورية بالمعنى الحرفيِّ، ولم يكونوا خارجها تمامًا. ويقارن فِيشَر هنا بين وضعهما ووضع الجماعات المقيمة على الحدود الغربيَّة للإمبراطوريَّة الرومانيَّة. ويلفتُ النظرَ إلى الوضع المختلف لآل جَفْنَة عن آل نَصْر الذين كان مركزهم في الحِيرَة قريبًا من العاصمة السَّاسَانيَّة في كتِيسِيفون (Ctesiphon) في بلاد الرافديْن، وكانوا عرضةً بدرجةٍ أكبر للتأثيرات السَّاسَانيَّة وساعدهم ذلك على تكوين نظامٍ أقرب ما يكون إلى 'الدولة.' لقد كان آل جَفْنَة عرضَةً للتأثيراتِ الحضاريَّة الإمبراطوريَّة نفسها، كما يتضح من الآثار التي تُنسَب إليهم، ولكنَّها لم تصل بهم إلى أن يكونوا 'دولةً' بالمعنى المفهوم، مع اعتناقِهم ديانَتها النصرانيَّة. ويدعم فيشَر فكرتَه عن المكانة المتوسطةِ لهذه الجماعات بشكلٍ مقنعٍ بوصف المبنى متعدِّد الأغراض الذي أقامه المُنْذِر في الرِّصَافَة في سوريا، الذي كان خارج أسوار المدينة، وفي الوقت نفسه ليس بعيدًا عنها. لقد كان المبنى يشير من الناحية الرمزيَّة إلى محاولة آل جَفْنَة الحفاظ على ارتباطاتهم بقواعدهم القبليَّة في الصحراء، من ناحية؛ وبالعالم المستقر للإمبراطوريَّة من ناحية أخرى، فيما يسميه الانفصال المترابط (connected separation)؛ وهو الأمر الذي يتأكد في الوقت نفسه من الموقع المتوسط للرِّصَافة ذاتها.

ويخصِّص فِيشَر الفصل الثاني للحديث عن النصرانيَّة وآثارها على العرب، وأثرها في الحياة السياسيَّة آنذاك، ومن اللافت للنظر هنا أنَّه يبدأ بهذا الموضوع المتعلق بالحياة الدينيَّة الحديثَ المفصل عن هذه الجماعات وعلاقاتها الإمبراطوريَّة. وتتمثل النقاط الأساسية في المعالجة في الربط بين الديانة

الجديدة وبين الحضارة التي ترمز إليها الإمبراطورية الرومانيَّة 'النصرانيَّة،' ويناقش هنا العديد من الأفكار المتعلقة بدور الأديرَة في تطوير الخطِّ العرَبيِّ، وتعليم القراءة والكتابة، وكذلك مواقع الأديرة والكنائس بالقرب من الأماكن المستقرَّة، وأيضًا النصرانيَّة بوصفها عاملَ ربط بين الإمبراطوريَّة وبين أتباعها المتنصرين حديثًا. ويركز فِيشَر على أنَّ البعد السياسيَّ لاعتناق النصْرانيَّة كان يختلف باختلاف الظروف، وفي ضوء الصراعات العقائدية بين أتباع الديانةِ الميافيزيقيِّين/ المونوفيزيقيِّين (أتباع الطبيعة الواحدة) والخلقيدونيِّين (القائلين بأكثر من طبيعة لعيسى عليه السلام). وهكذا فإنَّ موقف آل جَفْنَة الوسيط على حدود عالم الإمبراطوريَّة والعالم الوثنيِّ يتأكد هنا أيضًا من وضعهم بين الكنيسَة السِّريانيَّة الشرقيَّة وبين الكنائس الغربيَّة الأخرى، مثل الإسكندرية وأنطاكية وبيزنطَة، وكان هذا الوضع يزيد من حساسية وضعهم وقت اشتداد الأزمات العقائديَّة. ومن ناحيةٍ أخرى لم تكن النصرانيَّةُ بعيدةً عن المشهد في حالة آل نَصْر الذين كان وضعهم أكثر حرجًا في ظل إدارةٍ ترى في النصرانيَّةِ ديانة إمبراطوريةٍ معادية لها، وكان عليهم أن يسيروا في خطٍّ رفيعٍ بين إمبراطوريَّة راعيةٍ تدين بالزرادشتية، وجيرانٍ يدينون بالنصرانيَّة (طبقًا للعقيدة النسطوريَّة)، وبين جماعاتٍ أخرى تابعة تدين بالديانات الوثنية القديمة. ويلفت فِيشَر الانتباه هنا إلى مغزى أنَّ النعمان (٥٨٣-٦٠٢م؟) الذي كان أول من اعتنق النصرانيَّة في آل نَصْر كان في الوقت نفسه آخر حكام الأسرة.

وبالنظر إلى أنَّ الموضوعات المتعلقة بالهويَّات الدينيَّة، واللغويَّة، والعِرْقيَّة، والثقافيَّة تمثل عنصرًا مهمًّا في خلفية الدراسة، فإنَّ فيشَر يتوقف عندها بالتفصيل في الفصل الرابع. ومن الملاحظ هنا أسلوب تعاطيه مع دراسات كرون (Crone) وكوك (Cook) المثيرة للجدل في حدِّ ذاتها، وكذلك- وهو الأهم- اتجاهه إلى ربط جميع مظاهر التطور في الحياة السياسيَّة والثقافيَّة والدينيَّة للجماعات العربيَّة التابعة لآل جَفْنَة وآل نَصْر بصورةٍ أو بأخرى بعوامل خارجية تتمثل في علاقات الصفوة العربيَّة مع الإمبراطوريَّتيْن. وبينما يصف تكوين هذه الهويَّات في مقدمة الكتاب بحذرٍ نوعًا ما بأنَّه كان استجابةً جزئية وليست تامةً للتفاعل مع القوى الإمبراطورية الكفيلة (ص١٣)، فإنَّه يعود بعد ذلك ويعزو نمو الهويَّة السياسيَّة العربيَّة تحديدًا إلى علاقات التبعية الرسمية أو غير الرسمية مع تلك القوى المُمَوِّلة أو الداعِمَة (ص١٢٥-١٢٦). وتتبين نظرته تجاه الأمر بشكلٍ أكثر وضوحًا من تأكيده بعد ذلك أنَّه بقدر ما كان نفوذ آل جَفْنَة يزداد، كان يزداد أيضًا اعتمادهم على الإمبراطوريَّة (ص١٨٠). ولا يملك المرء

هنا سوى أن يتساءل عن مدى صحة هذه الفكرة، وعن حقيقة الأوضاع في بقية أرجاء الجزيرة العربيَّة، وعما إذا كانت هناك أيضًا عوامل أخرى 'داخلية' لتطوير هذه الهويَّات، خصوصًا أنَّ نظريته عن التطور تحت تأثير عوامل خارجية تصطدم بحقيقة أنَّ ظهور الإسلام وحركات الفتوحات العربية التالية له يرتبط بمنطقةٍ بعيدةٍ إلى حدٍّ كبير، إن لم يكن تمامًا، عن مناطق نفوذ آل جَفْنَة وآل نَصْر في شمال الجزيرة العربيَّة. ويتسع السؤال بطبيعة الحال أمام محاولة الكاتب في التمهيد الربط بين تطوير هوية العرب المسلمين في المراحل التالية وبين بدايات تطويرها- كما يقول- داخل البِنْيَة السياسيَّة والثقافيَّة للعالم الرُّوماني في أواخر العصور القديمة، وأمام نظرته تجاه الأصل الإبراهيميِّ للعرب وكونه في الأساس فكرةً وافدة تبنتها الجماعات العربيَّة من الداخل في مراحل لاحقة.

ربما أنَّ هذه الاستنتاجات تمثل نتيجةً منطقيَّةً للمنهج الذي استخدمه في البحث، وكذلك للمصادر التي اعتمد عليها في بحثِه والتي هي مصادر غربيَّة في الأعم الأغلب. إنَّه يذكر ذلك صراحةً في مقدمة الدراسة؛ حيث يوضح أنَّه اعتمد اعتمادًا أساسيًّا على المصادر الرومانيَّة والبيزنطيَّة وعلى كتابات المؤرخين الكنسيِّين، وتراجم وسير القديسين، وعلى البقايا الأثريَّة. وبينما تختلف دراسته بهذه الكيفية اختلافًا كبيرًا عن أعمال عرفان شهيد، الذي يوجه إليه النقد عدة مرات؛ لاعتماده على المصادر العربيَّة والإسلامية والشعر الجاهليّ، فإنَّه نجم عن ذلك أنَّ الحديث عن آل نَصْر وآل حُجَر يأتي في المرتبة الثانية بعد آل جَفْنَة. وبطبيعة الحال، فإنَّ تنحية المصادر العربية والإسلامية جانبًا أسهل من الوقوف عندها وتحليلها، والتعرف على ما يمكن أن تقدمه لنا من معلوماتٍ موثوقٍ بها. ولعل ذلك يدعو المتخصصين في هذا المجال من المتحدثين بالعربية إلى العودة مرةً أخرى إلى هذه المصادر لمقارنة ما بها من شهاداتٍ تاريخيَّة مع ما لدينا هنا من استنتاجات.

الأمر الأخير الذي يستلفت الانتباه في الكتاب الذي بين أيدينا هو التأكيد المتكرر على المكانة 'التابعة' لآل جَفْنَة وآل نَصْر للإمبراطوريتيْن الرومانيَّة والسَّاسَانيَّة، وعلى آثار هذه التبعيَّة. وبينما يبدأ المؤلف بنقد وجهة نظر عرفان شهيد عن دور الغساسنة بوصفهم خطًّا دفاعيًّا أماميًّا لبيزنطة أمام الجزيرة العربيَّة، فإنَّه يؤكد أنَّهم كانوا مجرد 'حواشٍ،' في أحداث القرن السادس الميلاديّ، وأنهم كانوا على هامش الأحداث وأن 'دورهم في الحياة الدينية والسياسية، وفي المشهد الثقافي للإمبراطوريَّة كان موسميًّا'. إنَّه يستدرك الأمر في أحد المواضع، ويذكر أنَّهم كانوا يشكلون جزءًا

متكاملاً من مشهد أواخر العصور القديمة، ولكنَّه- حتى هنا- ينفي أن يكونوا على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية فيما يتعلق بالموضوعات العسكريَّة والسياسية لكفلائهم الإمبراطوريين (ص٢٣). ومن المهمِّ ملاحظة أن تركيزه على المكانة التابعة لهذه الجماعات يتأكد من زاويتين أخريَيْن: أولاهما، تركيزُه على أثر العلاقات مع الإمبراطوريتيْن على تطوير هذه الجماعات؛ وأخراهما، أسلوب تعامل الإمبراطوريتيْن مع حكامها وقت الأزمات والاختلافات. لقد كان التخلص من هؤلاء الحكام وسيلةً سهلةً لإغلاق ملفاتهم، كما كانت الوقيعة بينهم من السبل السهلةِ أيضًا للسيطرة على الجميع؛ ومن المهم هنا ملاحظة الأمثلة التاريخية التي يسوقها لأساليب القوى الاستعمارية من مراحل أخرى من التاريخ لتأكيد نظريته. ومن الطريف أنَّ الأمثلة التاريخيَّة التي يسوقها لا تبتعد بنا كثيرًا عن شمال الجزيرة العربية ومنطقة بلاد الرافديْن، وإن اختلفت زمنيًّا، كما يتضح من إشاراته إلى تعاملات العثمانيين والفرنسيين مع شيوخ قبائل الرُّوَله في العصر الحديث.

من المهم أيضًا أن يتعرف القارئ على الأسلوب المتبع في ترجمة هذا الكتاب ذي الأسلوب الدقيق والصعب في الوقت نفسه. لقد حاولنا منذ البداية أن نضفي على الترجمة طابعًا موحدًا؛ بحيث نتجنب أي تفاوتٍ واضحٍ في الأسلوب يحول دون مطالعته بسهولة. كذلك فإنَّنا التزمنا بدقَّة المعنَى وحرفيته- في بعض الأحيان- بحيث نحتفظ للكاتب بأسلوبه المميز. ويتضح ذلك خصوصًا من التزامنا بتقسيمه للجمل والفقرات، وكذلك بالجمل الاعتراضية في موضعها بقدر الإمكان. ومع ذلك فإنَّنا 'عرَّبنا' بعض التعبيرات تعريبًا واضحًا ربما يلقى بظلاله في بعض المواضع على دلالات الكلمات المستخدمة، ويجد القارئ مثالاً على هذه الحالات الأخيرة في استخدامنا لمصطلح 'الفتوحات' الإسلامية بدلاً من الوصف المعتاد لها في الكتابات الغربية بـ:(الغزوات)، واستعمال مصطلح الخليج 'العربيِّ' بدلاً من وصفه بـ:(الفارسيِّ). وفي حالة الاقتباسات التي يوردها المؤلف من مراجع أخرى غير اللغة الإنجليزية، فإننا احتفظنا بها في مواضعها بعد ترجمتها إلى العربية، والأمر ذاته ينطبق على اقتباساته من المصطلحات اليونانية. ويستخدم الكاتب مصطلح 'شبه الجزيرة العربية' في الإشارة إلى بلاد العرب، وبدلاً من ذلك فإنَّنا اختصرناه إلى 'الجزيرة العربية'. وعمومًا فقد كتبنا المصطلحات التي يستخدمها في أول مرة بالحروف اللاتينية، ثم عربنا غالبيتها بعد ذلك، وأثبتناها في الأجزاء التاليةِ فقط في الحالات التي تستدعي نوعًا من المقارنةِ بين المصطلحاتِ بعضُها

ببعضٍ. كذلك فإنَّنا أضفنا صيغة السلام بعد أسماء الأنبياء الواردة في النصِّ، وما يشابهها من عبارات التكريم بعد أسماء المدن المقدسة.

وفيما يتعلق بأسماء الأعلام والأماكن الأجنبية فقد لجأنا إلى تنظيرها حرفيًّا، وكتابتها بالحروف اللاتينية في أول مرةٍ تظهرُ فيها في النصِّ. ولجأنا كذلك إلى وضع علامات التشكيل لمساعدة القارئ على نطقها نطقًا أقرب ما يكون إلى النطق الصحيح، ولتجنب تكرار كتابة الاسم بالحروف اللاتينية. وعلى سبيل المثال فقد كتبنا بْرُوكُوبِيُوس (Procopius) في أول مرة، ثم بْرُوكُوبِيُوس بعد ذلك. وفي حالة الأسماء التي استقر فيها النطق العربيُّ على صيغةٍ مختلفةٍ عن الهجاء الحرفيِّ للاسم الأجنبيِّ فقد آثرنا اتباع العرف، كما في حالة اسم أول الأباطرة البيزنطيِّين، قُسْطَنْطِين (Constantine)، الذي يجب نطقُه طبقًا للحروف اللاتينية 'كُونْسْتَانْتِيُوس.' وفي حالة وجود مقابلٍ عربيٍّ، أو في حالة إمكانية تعريب أسماء الأماكن، فإنَّنا لجأنا إلى الصيغة العربية المألوفة. وهكذا فقد كتبنا 'باميرا' (Palmyra)، في أول مرة، ثم استعملنا بعد ذلك الاسم المعروف للمكان، تَدْمُر. والأمرُ ذاته ينطبِقُ على صيغَةِ بلادِ الرافديْن التي استخدمناها بدلاً من 'مِيزُوبُوتَامِيَا' (Mesopotamia)، وعلى شمعُون العموديِّ بدلاً من 'سيميون' (Simeon). ورغبةً في تسهيل الأمر على المتخصصين والقراء الذين ربما يحاول بعضهم الاطلاع على الكتاب في لغتِه الأصلية ومقارنة الترجمة، فقد حدَّدنا بداياتِ صفحاتِ الكتاب الأصلي بكتابة أرقامها بخط ثقيل ومميزٍ، وبالأرقام العربيَّة، على الوجه التالي: **[444]**، بحيث يسهل تحديدها، ووضعناها بحيث لا تعترض سياق الجملة في الوقت نفسه.

وأخيرًا وليس آخرًا فإنَّه يسرنا أن نشكرَ المؤلف لكتابته مقدمةً للترجمةِ العربيَّة، والمراجعيْن لقراءتهما المتأنية للمخطوط ولبعض التصويبات المهمة، وأن نشكر كذلك القائمين على مركز الترجمةِ بجامعة الملك سعود؛ لإتاحتهم الفرصة لنا لترجمة هذا الكتاب المهمِّ، في الأساس.

والله الموفق،،،،

المترجمان

الرياض ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م